

التأثير الاجتماعي للتكنولوجيا الجديدة

سجلت التكنولوجيا الإتصاليه الجديده تطورا مذهلا في النصف الثاني من القرن العشرين . وشكل ذلك التطور بدوره منطلق التغيرات العاصفه في مجال الحياة الاجتماعيه الثقافيه ، وخاصة في مجال الإتصال ووسائل الإعلام . لقد أحدثت هذه الثوره التكنولوجيه الجديده ثورة كوبرنيكيه في مجال القيم والمفاهيم والعقائد وأنماط السلوك عند البشر . وازاء هذا الإندفاع الحضاري المذهل جند العلماء والمفكرون طاقاتهم العلميه والفكريه ، منذ ثمانينات هذا القرن ، لدراسة أثر ووظيفة الأخطبوط التكنولوجي الذي بدأ يهدد القيم الإنسانيه في جوانبها الاخلاقه ولا سيما في مجال العلاقات الإنسانيه.

ويتمثل الأخطبوط التكنولوجي الجديدي في منظومه من المخترعات التي تتميز بخاصة التطور الذاتي وخاصة الديوومه . ويتجسد هذا المد التكنولوجي في مخترعات: الحاسوب ، والتلكس ، والفيديو ، والكوابل الأرضية والفضائيه - والأقمار الإصطناعية - و"المينيتيل minitel" والتليتكس ، والفيديوتكس ، والفاكس.

وتكمن السمة العبقريه لهذه التكنولوجيا الإتصاليه الجديده في جوانبها الإتصاليه

التفاعلية وهي بذلك تشكل ثورة متقدمه بالقياس إلى الإتصال وحيد الإتجاه الذي يتمثل في وسائل الإعلام التقليدية كالتلفزيون أو الراديو أو الصحافة.

ويضاف إلى ما سبق أن الوسائل الجديدة تستطيع أن توجد في إطار من التكامل الإستراتيجي فيما بينها . إذ يمكن لنظام الكابيل التلفزيوني التفاعلي أن يحتوي على حاسوب من أجل استقبال رسائل قادمة من المنازل . ويمكن أن يحتوي على قناة اتصال مع الأقمار الإصطناعية التي تتيح انظمة جديدة للإتصال مع قنوات خاصة بالكوابل . ومن أجل المقاربه يمكن القول على سبيل المثال أن هناك شبكة اتصاليه بين التليفون والحاسوب والفاكس والفيديو والمنتيل والتلفزيون . ويعني ذلك أن التكنولوجيا الجديدة لم تؤد إلى إيجاد نظام جديد للإتصال فحسب وإنما اتاحت توظيفها جديدا لوسائل الإعلام التقليدية : راديو تلفزيون صحافه.

ولقد أدى ظهور التكنولوجيا الجديدة المتقدمه إلى ولادة اتجاهات فكرية جديدة في مجال الإتصال و الإعلام . واقتضى ذلك من الباحثين هجر مناهجهم التقليدية في البحث والسعي إلى إيجاد مناهج جديدة أكثر قدرة على دراسة الجوانب المعقدة للوضع الإعلامي الجديد.

يتحدد المجتمع "الإتصالي" اليوم بمدى قدرة كل فرد فيه على إيجاد علاقة ضرورية مع العالم بكامله . وبالتالي فإن بداية العصر الإتصالي لايعني بالضرورة نهاية عصر وسائل الإعلام الجماهيريه وإنما يعني وجود أنماط اتصاليه جديده بعيدة المدى تستفيد هي أيضا من التكنولوجيا الجديده.

واستطاعت الثورة الإعلاميه المتقدمه أن تؤدي إلى وجود ظاهرة جديده بالغة الأهمية في إطار هذا العصر الجديد تتمثل في ظهور البعد الإنفعالي للإتصال عبر الزمن . وهذا ما يسميه كلوتيه Cloutier وسائل الإعلام الذاتية (Self media) والتي تسمح بعملية تفاعل ذاتيه بين الذات والذات وذلك عبر الزمن . ويشير ذلك إلى الوثائق الشخصية التي يمكن للفرد أن يسجلها كذكريات أو مذكرات. لقد كانت

الكتابة في عصور ماضية هي الأداة الوحيدة المعروفة من أجل كتابة الأرشيف والوثائق الخاصة والملاحظات التي تتصل بالعمل . ولكن الإتصال الذاتي عبر الزمن قد أصبح منذ اليوم تقليدا يميل إلى الإتساع بفضل التكنولوجيا الجديدة : فالمسجلة والفيديو يتيحان اليوم جوانب واسعة لعملية اتصال ذاتي.

وتتمثل إحدى أهم خصائص الثورة الإتصالية الجديدة في قدرتها على تخطي حدود وقانون التقارب الإتصالي كما يلاحظ مولز . MOLES فالتكنولوجيا الجديدة تتيح للأفراد منذ الآن تجاوز مستوى المسافة المطلوبة لعملية الإتصال . أي أنها تتيح للفرد أن يدخل في علاقة مع أي شخص كان ، وفي أي مكان يكون ، دون أي احساس بصعوبة الإتصال المباشر كعامل محبط يركز على أهمية الإتصال والتفاعل المباشر (186 ، 1986 . Moles) فعالم الإتصال اليوم يتجاوز حدود وسائل الإعلام الجماهيرية التقليدية ، حيث تشكل الأقمار الإصطناعية وكاسيت الفيديو والبريد الإلكتروني اليوم إحدى الجوانب الهامة في عالم الإتصال بين الناس . وما هو مهم اليوم هو أن نعرف ماذا تحمل هذه التكنولوجيا في طياتها للإنسانية و للثقافة والديمقراطية والقيم ؟ .

اتجاهات التحليل الثلاثة :

يمكن الإشارة إلى ثلاثة اتجاهات علمية طرحت نفسها لدراسة المعطيات الاجتماعية لشورة الإتصال الجديدة وهي : الإتجاه الاجتماعي ، ثم الإتجاه المؤسساتي ، والإتجاه الفردي.

الإتجاه الاجتماعي :

يؤرخ لفكرة مجتمع المعلومات منذ بداية أعوام السبعينات وذلك عندما ظهر كتاب الاقتصادي الأمريكي فريتز ماشليب Fritz Machlip بعنوان " انتاج و توزيع المعرفة " والذي قام فيه بتصنيف ثلاثين صناعة في خمس فئات كبرى هي : التربية ، البحث

العلمي ، الإتصال (بواسطة الإعلام) ، ثم وسائل المعلومات ، وخدمات المعلومات .
و بالإستناد إلى المعطيات الإحصائية القومية القائمة منذ عام 1958 استطاع
الباحث أن يقدر أن انتاج وسائل المعلومات يمثل 29٪ من الإنتاج الوطني الأمريكي
ويشكل 31 ٪ من قوة العمل . وانطلاقا من هذه البيانات اطلق الباحث على المجتمع
الأمريكي مصطلح " مجتمع المعلومات . "

وقد تبين أن بلدانا غربية أخرى كاليابان وبلدان أوروبا الغربية وكندا قد دخلت
في المرحلة الجديدة للإنتاج الإعلامي الإتصالي المتقدم . حيث يلاحظ ، منذ عام 1970 ،
تواتر البلدان الغربية في احتواء المرحلة الجديدة التي أطلق عليها من قبل نورا Nora
ومانك Mink مجتمع الإتصال ، وهو قطاع يستحوذ في هذه البلدان في الوقت الحالي
نصف القوة العاملة في حقل المعلومات (صحفيون ، معلمون ، مبرمجون على سبيل
المثال) . وإذا كان هذا القطاع يأخذ في مستوى إنتاجية أكثر من نصف مساحة الإنتاج
القومي ، فإنه لمن الملاحظ أن المعلومات هي في طريقها لأن تكون البديل عن الطاقة
كمصادر للدخل . إن ثورة المعلوماتية " الأنفورماتيك " أدت إلى تحول عميق في النظام
العصبي للمؤسسات و للمجتمع بكامله .

المستوى المؤسساتي:

بدأ إهتمام الباحثين ينصب على الآثار التي يمكن أن تترتب على دخول التكنولوجيا
الجديدة في المؤسسات وذلك لمعرفة مدى التغير الذي سيحدث في مجال شبكة الإتصال
القديم .

وتكمن المسألة الأساسية لهذه الأبحاث في ملاحظة ما إذا كانت هذه الوسائل
الإعلامية الجديدة ستؤدي إلى تفجير الشبكات الإعلامية الإتصالية التقليدية .

لقد أظهرت الدراسات التي أجريت في مؤسسات مختلفة في كل من فرنسا
وألمانيا الإتحادية أن دخول هذه التكنولوجيا لم يؤد إلى ثورة في مجال الإتصال ، حيث تم

استبدال وسائل الإتصال القديمة بأدوات الإتصال الجديدة " كالتلكس " على سبيل المثال .
وأن ذلك لم يحدث إلا تغيرا طفيفا في نظام اتصال المؤسسات .

و يضاف إلى ذلك أن وسائل الإتصال التقليدية لم تستبدل إلا جزئيا بوسائل
الإتصال الحديثة ولم تستطع أن تكون بديلا لعملية الإتصال الشفوي و الإتصال الشخصي
- وجهها لوجه - وذلك في إطار هذه المؤسسات . حيث تبين أن هذه الأشكال الإتصالية
ضرورية من أجل تبادل المعلومات المعده وتبادل العلاقات الاجتماعية .

ويبدو أن الإتصال المباشر - وجهها لوجه - ما زال يتميز بأهمية خاصة من أجل تحويل
المعلومات والرسائل المباشرة بين الأشخاص الذين يحتلون مواقع مختلفة في إطار السلم
التراتبى الوظيفي ، إن الخط الإتصالي الجديد يتطلب قدرة عالية من إجراءات الإتصال
الرمزي حيث يعميل الناس إلى اساليب الإتصال الحية والمباشرة بوصفها طريقة أفضل .

فوسائل الإتصال الجديدة لا تحتوي على ما يسمى " بالحضور الاجتماعى " الذي
يعتبر ضروريا من أجل توظيف أمثل للعلاقات الاجتماعية في إطار المؤسسات ومن
أجل تبادل معلومات غير منظمة بين العاملين فيها . ومع ذلك فإن وسائل الإتصال الجديدة
قد لعبت دورا أفضل في حالات أخرى وخاصة هذه التي استطاعت أن تسهل عمليات
الإتصال التي تقوم بين المؤسسات .

.وبينت دراسة أخرى النتيجة السابقة نفسها وهي دراسة أجريت في جامعة
ستانفورد وهدفت إلى اختبار مدى تأثير ادخال نظام الإتصال "الإليكترونى" الذي كان
يسيره عدد كبير من الموظفين والمحاسبين في الجامعة وذلك من أجل تبديل النظام المالى
القائم . وقد لوحظ أن الباحثين في الجامعة كانوا يستخدمون هذا النظام بدرجة
متدنية، وذلك لأن غالبية رسائلهم كانت تتطلب وجود علاقة اجتماعية وتقتضى اتصالا
شخصيا بين الأفراد (المهااتف على سبيل المثال) ، إن القلق الناجم عن ادخال هذه
التكنولوجيا الجديدة يدور حول مسألة قلب البنية الهرمية القائمة إلى مستوى الإتصال
في إطار المؤسسة . والأسئلة التي طرحت نفسها كنتاج لعملية ادخال النظام الجديد ،

متعددة جدا ويمكن أن نذكر منها ما يلي:

- يرتبط الموظفون في النظام القديم مباشرة بالمركز ولكن فسي الحالة الجديدة فإن هذه العلاقة تصبح نظاما من الرسائل التي لا تتيح إدارة جيدة للموظفين.

- تتعرض المسافة الفيزيائية المتصلبة والتي تحتوي على مظاهر الإحترام بين أشخاص الموظفين للزوال.

- ألا يؤدي قيام الموظفين بالعمل في منازهم إلى إلغاء علاقات التفاعل المباشرة القائمة بينهم.

- ألا يؤدي النظام الجديد إلى تغير في العلاقة بين المدراء وموظفي السكرتارية (لأن التكنولوجيا الجديدة تسمح لارباب العمل بالقيام بعدد كبير من الأعمال التي كانت سابقا من مهمة "السكرتارية"؟.

ويعني ذلك كله في نهاية الأمر أن التكنولوجيا الجديدة تمثل سلاحا ذا حدين قاطعين، فهي تتيح للموظفين مزيدا من المعلومات ، كما تتيح لهم مجالا واسعا من الإستقلال وتؤدي إلى زوال العلاقات المسرحية التي كانت قائمة بينهم هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يمكن للتكنولوجيا الجديدة أن تضع جدراننا عريضة بين العاملين و تتيح للمدراء ممارسة رقابة فعالة مباشرة على موظفيهم ويعني هذا أن التكنولوجيا الجديدة تمارس دورين في آن واحد وهي بالتالي تكنولوجيا تتميز بالدقة و الدهاء ، حيث تتطابق مع ما يقوم به الناس.

لقد شكلت كيفية قبول الأفراد للتكنولوجيا الجديدة وتعاملهم معها مجالا واسعا للدراسة والبحث المعاصر . ففي كل مرة يحدث فيها تشغيل نظام تكنولوجي جديد فإن الباحثين يميلون إلى دراسة آثاره على المستوى الاجتماعي . ولكن قبل الحديث عن آثار هذه الأوضاع الجديدة يجب على كل إستخدام جديد أن يتجاوز عتبة قبول الناس له. ومن المؤسف له أن الإبحاث التي تدرس درجة قبول الناس للتكنولوجيا الجديدة ما تزال نادرة.

ومن خصوصيات أغلبية التقنيات الجديدة المتطورة أنها تتيح للفرد إتصالا تفاعليا مع الآخر وهي خصوصية تؤثر على طبيعة إستخدام التكنولوجيا الجديدة و الموافقة عليها.

تشير الدراسات الجارية إلى أن انتشار التكنولوجيا الجديدة مرهون إلى حد كبير بفترة هؤلاء الذين يستخدمونها للمرة الأولى، والذين يجدون أنفسهم في مواجهة التكيف مع أوضاع جديدة في إطار عملهم. فالإدخال الجيد للتكنولوجيا الجديدة يعادل إلى حد كبير أهمية هذه التكنولوجيا وذلك لأن قبول التكنولوجيا الجديدة يتطلب من مستخدميها التخلي عن عاداتهم التقليدية، ومن الخطأ. يمكن الإعتقاد أن مجرد وجود التكنولوجيا الحديثة يؤدي إلى قبولها، إذ توجد هناك بعض الشروط التي تساعد الأفراد على قبولها. على سبيل المثال، يلاحظ أن الناس الذين يملكون القدرة على استخدامها في أماكن عملهم غالبا ما يميلون إلى استخدامها في منازلهم. وبالتالي فإن الأبنية المجهزة بالتكنولوجيا الجديدة تعزز عند الأفراد الميل إلى قبولها في أماكن عملهم. ويلاحظ أيضا أن إدخال هذه التكنولوجيا في المنازل لم يؤد حتى اليوم إلى تغيير سريع في العلاقات الاجتماعية اليومية بين الناس، فهناك أرقام واقعية عن مدى إستخدام هذه التكنولوجيا في المنازل. ففي عام 1987 كان هناك 6% من المنازل التي يوجد فيها حواسيب منزلية في فرنسا، و18% من العائلات التي تملك الفيديو.

ويبدو اليوم أن استخدام هذه الآلات الجديدة مازال في حدوده الدنيا بالقياس إلى ما هو متوقع. حيث يلاحظ على سبيل المثال أن إستخدام الفيديو كان بمحدود 12 دقيقة يوميا في السويد وأن استخدامه غالبا ما يكون لتسجيل بداية أو نهاية أحد البرامج.

ونستطيع أن نقول بأن معلوماتنا واسعة حول التكنولوجيا الجديدة ووسائل الإتصال الجديدة ولكن معلوماتنا حول درجة استخدامها ما تزال محدودة جدا. ومع ذلك يمكن القول أن هناك انقلابا فيما يتعلق بقضاء وقت الفراغ عند الناس، ومثال ذلك الإتساع الكبير غير المنتظر لاستخدام ألعاب الفيديو في فرنسا.

فالمنازل بدأت تتضمن كفايات تكنولوجية ذاتية. وقد عززت هذه الكفاية بأجهزة

الفيديو وذلك لما تتيحه هذه الأجهزة من حرية الاختيار عند الأفراد وخاصة فيما يتعلق بالزمن الذي يريدون فيه مشاهدة التلفزيون . وما تزال نتائج هذه التطورات الجديدة غامضة ويأتي هذا الغموض في حقل العلاقة بين نظام عالمي مفتوح وعزلة شخصية ازاء التجارب الاتصالية ، حيث اطلق على هذه الظاهرة تعبير " الإتصال المتعزل. "

عندما يتم البحث عن توظيف تكنولوجيا جديد فان ذلك يعني الوصول إلى توظيف لم يستمر سابقا . وقد تطورت هذه التوظيفات الجديدة تحت تأثير التقنية الجديدة والأوضاع التكنولوجية الجديدة . غالباً ما تعكس المشكلات الناجمة عن استخدام التكنولوجيا الجديدة وإلى حد كبير التطورات الاجتماعية الثقافية والتي تبدو بعيدة عن منال الباحثين و المفكرين.

ويكمن جوهر المسألة هنا في معرفة مدى قدرة هذه التكنولوجيا على إعادة انتاج مواقف و عادات قديمة ، أو في توجيهها نحو انتاج أنماط سلوكية جديدة تعزى إلى التفاعل بين التجديد التكنولوجي و التجديد الاجتماعي.

ويلاحظ في هذا السياق أن التجديد التكنولوجي لا يتوافق زمنياً مع ولادة أنماط سلوكية جديدة ، فالفيديو على سبيل المثال قد كرس في أغلب الحالات من أجل الإستهلاك التلفزيوني.

تشير دراسة خ - ف - بارييه بوفيه : **Barbier Bouvet** إلى أن التكنولوجيا الجديدة تدرج في أغلب الأحوال في إطار حضور تقليدي لوسائل الإعلام التقليدية.

تتطلب الدراسة المشار إليها أعلاه من ثلاثة مستويات تجريبية، وتهدف إلى دراسة كيفية استخدام الجمهور للتكنولوجيا الجديدة . منذ البداية قام الباحث بالتمييز بين ثلاثة توظيفات للتكنولوجيا ، حيث يشير النمط الأول إلى التوظيف التقليدي بينما يشير الثاني إلى الإستخدام العلمي المطابق ثم التوظيف المتخصص. ويعني الإستخدام

المطابق أن المستخدم يتابع تعليمات التشغيل ، بينما يعني الاستخدام التقليدي أن المستخدم يعتمد على مبدأ التحريب في الاستخدام اما الطريقة الإختصاصيه فيتم بموجبها أن حصول المستخدم على مساعدة الإختصاصين في إستخدام التكنولوجيا الجديده التي يتم شرحها للمستهلكين . وغني عن البيان أنه لا بد من أجل استخدام هذه التقنيات الجديدة من توافر ثقافة تكنولوجية فردية كما يحدث في مجال الحاسوب المنزلي . وفي النهاية استطاع الباحث أن يقدم مفهوما جديدا هو " تصور الاستخدام " و الذي يعني أن أي فرد يملك تصورا مسبقا للخصائص الرمزية لأي من الأجهزة التكنولوجية المتاحة.

وفي هذا الميدان يتحدث كل من س مارفن C. Marvin و م ونتر M-Winter عن ضرورة محور الأمية في مجال الحاسوب من أجل الوصول إلى استخدام أفضل ومن أجل محور هذه الأمية لا بد من بذل جهود كبيره منظمه.

وفي هذا الخصوص تشير دراسة أخرى أجريت على عينة من الجامعيين الذين يستخدمون الحاسوب والذين تطوعوا للإجابة عن أسئلة استبانة خاصة باستخدام الحاسوب. إلى وجود خمس مجموعات اساسية وفقا لمستوى الثقافة الحاسوبية:

1 - الأفراد الذين يعيشون إلى جوار الحاسوب بشكل يومي ولكنهم لا يستخدمونه ولا يستفيدون منه.

2- الأفراد الذين يستخدمون الحاسوب بطريقة عرضية ولأغراض خاصة ولا يجيدون بزجة الحاسوب بل يستفيدون من البرامج القائمة.

3- المبرمجون الذين يقومون بإعداد البرامج و التي توضع لخدمة الآخرين.

4- مجموعة المهتمين والمولعين والتي تشمل مجموعة واسعة من الأفراد المدعين و الذين يهينون لطاقت جديدة عن طريق طرح المسائل والحلول ، ويشكل بعض من هؤلاء " أي الأفضل " جزءا من المجموعة الخامسة.

5- فئة البارعين و هم الذين يتربعون على رأس الهرم المعلوماتي و هم الموهوبون الذين

يسيطرون بشكل كامل على الحاسوب في كافة المستويات الفنية والعلمية. لقد أبرزت الدراسة التي قامت بها جـ - جويه J. Jouet حول مستخدمي "المينيتيل" 20 والحاسوب المنزلي أهمية وضرورة اكتساب المعرفة العملية من أجل استخدام هذه الأجهزة . ترى الباحثة أن الثقافة التقنية تشتمل على ثلاثة مستويات مختلفة : المعرفة النظرية والمعرفة التطبيقية الإجرائية ثم المعرفة النقدية حول مسائل التكنولوجيا . وتستخلص الباحثة أن الثقافة التقنية ترتبط بالممارسة التي تقوم على أساس من العلاقة الحيوية مع التكنولوجيا كمجال للمعرفة و التجربة . فاستخدام " المينيتيل " من قبل الأكثرية كوسيلة وظيفية يتطلب نوعا من المعرفة العملية وبالتالي فإن الحاسوب المنزلي يبدو كأداة معرفية بدرجة أكبر من (المينيتيل). إن أغلبية الناس الذين يستخدمون الحاسوب المنزلي يملكون كفاءة تقنية على الأغلب محدودة .

عندما يجري الحديث عن ثقافة معلوماتية يجب أن نميز بين نوعين هما : الثقافة الوظيفية التي تتعلق بالمعرفة العملية المكتسبة للقيام بمهمة واحدة (مثل حالة معالجة منسق الكلمات في الحاسوب) ، والثقافة الشمولية التي تتجاوز هذا المستوى إلى استخدام عدد كبير من البرامج في الحاسوب و إلى إستحواذ ثقافة نظرية واسعة في هذا المجال و في أغلب الحالات يلاحظ أن الثقافة المعلوماتية قلما تصل إلى مستوى السيطرة على مختلف جوانب التقنية في مجال الحاسوب ، ومن المناسب هنا أن نذكر أن استخدام تكنولوجيا الحاسوب لا يمكن أن يتم في فراغ وإنما من خلال معطيات تقنية محددة ووفق نمط محدد للتوظيف.

فكل موضوع تقني جديد يمثل فرصة حقيقية لإجراءات تجعله شرعيا كما يلاحظ ج . بيربولت (J. Perriault عام 1981) . هذا ويلاحظ أن مجال التطبيق

20 - Minitel جهاز معلوماتي هاتفي يتضمن شاشة ولوحة مفاتيح ويمكن الأفراد من الإتصال ببعضهم البعض ومن الإتصال بشبكة الخدمات المتاحة (بنوك مطارات مضاربات تجاره إعلام) وخاصة بنك المعلومات عن طريق الهاتف و هو جهاز واسع الإستخدام حاليا في فرنسا

التكنولوجي القائم يؤدي إلى ميلاد معايير اجتماعية سلوكيه جديده تستند إلى معايير تقليدية . ويمكن وعلى العكس من ذلك لهذا التطبيق أن يأخذ اتجاهها مباننا كليا وذلك هو الاتجاه الذي يلي في أغلب الأحوال الإحتياجات الثقافية الاجتماعية في المرحلة الراهنة ، وتلك هي حالة " مسجل الهاتف " (آلة تقوم بتسجيل المكالمات الهاتفية في الوقت الذي يكون فيه صاحب المنزل غائبا) الذي يتيح للفرد أن يتصل بالأخر حتى في حال غيابه . لقد قدر لهذا الجهاز أن يلعب دورا مخالفا لوظيفته الاصلية حيث يستخدم الآن لاصطفاء المكالمات الهاتفية (يتيح هذا الجهاز لصاحبه أن يتحدث فقط إلى من يرغب بالتحدث اليهم).

معطيات وسائل الإعلام الجديدة:

لم يكن ظهور الإعلام الجديد غير نتاج لعملية تقارب بين الوسائل السمعية البصرية والمعلوماتية (الحاسب) . ومن أجل تحقيق نوع من البساطة التعليمية والمنهجية يقترح كل من إيمري G.Eymery وبال F.Balle تصنيف هذه الوسائل في مجموعتين حيث تنتظم في المجموعة الأولى التكنولوجيا التي ظهرت حديثا التي أدت إلى تضاعف قدرات الوسائل التكنولوجية التقليدية في بث وتحويل النصوص والمعطيات الخاصة بالصورة والصوت كما هو حال الكابلات والأقمار الإصطناعية وعمليات التنسيق الممكنة بينهما . أما المجموعة الثانية فتحتوي على التجهيزات الحديثة التي تسمح للأفراد بالوصول عبر اشارات صغيرة إلى الخدمات الخاصة بالبرامج المتاحة وفقا لاختيار محدد ، ومثال ذلك الفيديو وامكانية الوصول إلى برامج الراديو والتلفزيون عبر نظام من الرموز (الكود) المحددة.

فالتكنولوجيا الجديدة تعزز من قدرات شبكات الإتصال التقليدية . ويمكن هنا الإشارة إلى التلفزيون ذي الدارة المغلقة - الموزع الذاتي - الذي يقدم امكانية نقل اشارات متلفزة عبر محاور ذاتية أو عبر قنوات بصرية ، ويتضمن بالإضافة إلى ذلك جملة من التجهيزات الفنية التي تصله بمحطات تمثل رأس الشبكة ، مثل هذه الشبكة الكابلية

تسمح بالوصل بين مجموعات من المنازل بعضها مع بعض والتي تتيح للمستهلكين تبادل الرسائل والمعطيات والصورة والصوت.

لقد استخدمت هذه التقنية في بلجيكا منذ أكثر من عشر سنوات حيث يوجد هناك 80 % من المنازل المجهزة بالشبكة التلفزيونية الكابلية . وفي كندا تبلغ هذه النسبة حوالي 50 % وهي 30 % في الولايات المتحدة الأمريكية وفي هذه البلدان يمكن أن يلاحظ تأثير هذه التقنية على طبيعة الحياة الاجتماعية. وفي فرنسا التي لم ترحب كثيرا بهذه التجربة بدأت بإنشاء شبكة الكابلات من أجل اللحاق بالبلدان الأخرى وذلك منذ الثمانيات وتأتي أهمية هذه التلفزة الكابلية بأنها تسمح للناس بالحصول على صورة أفضل والوصول إلى البرامج الأجنبية التي لا تبث على الموجات الأثرية وأن تقدم للمستهلكين إمكانية الحصول على برامج تلفزيونية مدفوعة الأجر.

ويلاحظ اليوم أن الأقمار الإصطناعية المباشرة بدأت تشكل بحق كابلا اثريا يقوم بتخديم التلفزيون بشكل مباشر ، وهو على المستوى التقني يمثل محطة خاصة للبت تتموضع في مكان يبلغ ارتفاعه آلاف الكيلومترات في اجواء الأرض (حوالي 36000 كيلومتر) . وبالتالي فإن الإشارات التي تصدر عن هذه الأقمار تستقبل بشكل مباشر عن طريق الهوائيات الخاصة بالمنازل . ومثل هذه التقنية تساعد عمليا في زيادة عدد الأفراد الذين يستقبلون الإشارات والبرامج التلفزيونية . ويضاف إلى ذلك أن الأقمار الإصطناعية يمكن لها أن تحقق اتصالا مع الكابلات الأرضية وشبكات الإتصال الأرضي . وهذه الأقمار يمكن أن تكون ذات فائدة صناعية هامة بالنسبة للبلدان النامية ويلاحظ في ذلك وجود صراع سياسي حتى في أوروبا حول المناطق التي يسمح للأقمار الإصطناعية أن تغطيها لبت برامجها وإشاراتها.

تتميز وسائل الإعلام الجديدة التي ظهرت مؤخرا بمخاضة مشتركة وهي أنها تتيح للأفراد وبشكل واسع جدا الإتصال بسهولة مع مختلف الجهات والمواقع التي يوجدون فيها . فالفيديو وقارىء (آلة العرض) الشريط المغنط يمثلان اداتين لتوزيع الصورة

المرئية على مستوى الإستهلاك الشخصي وكلاهما يعتمد على شاشة التلفزيون في عرض الصور وذلك من أجل عرض الصور المسجلة . لقد حقق الفيديو نجاحا منقطع النظير في أوروبا (يوجد هناك مليونان من هذه الأجهزة في فرنسا وخمسة ملايين في ألمانيا الاتحادية في عام 1984). ويعود سبب نجاح انتشار هذا الجهاز في أوروبا في أغلب الأحوال إلى مستوى البرامج التلفزيونية التي تلي حاجه الأفراد بالشكل المناسب.

ولا بد في هذا المجال من الإشارة إلى نظام " الفيديوغراف " الذي يشتمل على جانبين اساسين يشهدان تطورا ملحوظا في الوقت الحاضر وهما " التيليتكس " الذي يعتمد على شبكة الموجات الهترتزية للراديو والتلفزيون والفيديوتيكس الذي يعتمد على شبكة الهاتف . ويمثل " التيليتكس " وسيلة إعلامية تسمح لمستخدمه أن يتصل من بعد وعندما يريد ، عبر شاشة مجسمة وأن يرسل صورا ضوئية ، ويسجل التيليتكس وجوده في فرنسا منذ عام 1977 فهو يسمح على سبيل المثال بمعرفة الأخبار والنشرة الجوية والسوق المالية والمعلومات الإدارية المختلفة.

أما " الفيديوتكس " فهو وسيلة إعلامية تسمح بعملية تبادل الرسائل والإشارات والنصوص (وبعض الصور) ، وذلك عن بعد بواسطة شاشة صغيرة وقد حارب هذا الجهاز عام 1981 وهو يقدم خدمات معلوماتية متعددة ، ومن أهم منجزاته أنه يسمح بالحوار والاتصال بين الآخرين ، وهو أشبه ما يكون بالهاتف ويضاف إلى ذلك انه يعتمد على شبكة الخطوط الهاتفية في عملية التحويل ، وبفضل الحوار الممكن عن بعد يمكن الحديث عن نوع من التفاعل بين الأفراد لذلك فإن " الفيديوتكس " ليس مصدرا للمعلومات فحسب ، ولكنه يمثل وسيلة من وسائل الاتصال .فهو يتيح عمليات كالحجز في المطاعم والطائرات والطلب عن بعد لبعض الخدمات كما يسمح بإجراء عمليات بنكية ومالية مختلفة.

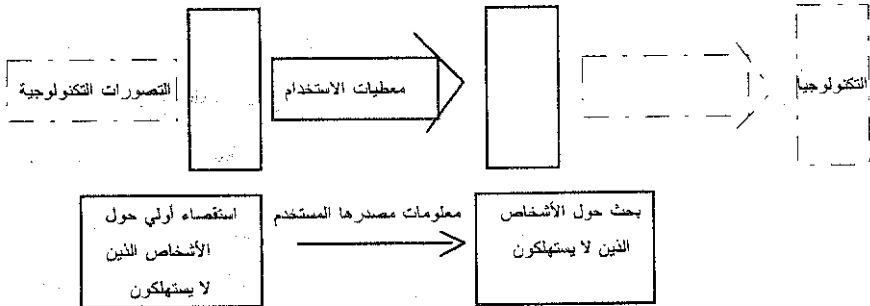
وهناك أداة اتصال أخرى ظهرت مؤخرا يطلق عليها تسمية "التلفزيون المأجور (Télévision à péage)والذي يسمح لمستخدميه بالحصول على برامج تلفزيونية

خاصة في المنزل بواسطة " منظم كود " وهو جهاز يتم تأجيره أو بيعه بشكل مسبق إلى من يريد استخدامه . ومبدأ التلفزيون المأجور بسيط جدا حيث يزود المستهلك بأقنية تلفزيونية اضافية غير الأقنية العادية. وتتيح هذه الأقنية للمستهلك أن يشاهد نماذج من البرامج التلفزيونية الخاصة ، ومثال ذلك في فرنسا ما يسمى بالقنال الإضائية Canal " Plus " والتي بدأ استخدامها منذ عام 1984 والتي تعتمد على ترددات هيرتزية من أجل بث برامجها. وهنا لا يوجد تمويل إعلامي حيث يقوم المستهلكون بتغطية نفقات وأرباح هذه القنال عن طريق الإشتراك الشهري المحدد ، وتقوم هذه القنال بعرض البرامج والأفلام السينمائية والتلفزيونية الحديثة ولكن مستقبل هذه القنال مرهون إلى حد كبير بمدى الطلب الذي يعلنه المستهلكون.

الإشكاليات المنهجية (التي ترتبط بالتكنولوجيا الجديدة):

إن دراسة وتحليل التأثير الذي تمارسه التكنولوجيا الجديدة على الحياة الاجتماعية يقتضي إجراء تغير عميق في المناهج الدراسية العملية المستخدمة. وتبرز أهمية هذه المسألة في أن البحث والتقصي في هذا المجال لا يتوقف عند حدود العلاقة بين المستقبل (الجمهور) والمرسل (البرامج) وإنما يتجاوز ذلك البعدين لدراسة متغيرات جديدة كالزمان والمكان والعلاقة بينهما.

إن المخطط الذي يطرح نفسه لدراسة تأثير التكنولوجيا الجديدة في مجال الاتصال هو على الشكل التالي (بيكو Pico ، روجيرز 1968)



ان العنصر الأساسي لتقنية البحث الجديدة تكمن في إجراء بحاث قبل وبعد وصول تكنولوجيا الإتصال الجديدة ، ويجب على المعطيات الحاصله أن تشير إلى هوية هؤلاء الذين يعتمدون على هذه التكنولوجيا وبأي مقياس ومن أجل أي غاية . في بعض الأحيان يلجأ الباحثون إلى إجراء دراسة حول هؤلاء الذين لا يستخدمون هذه التكنولوجيا والذين قد يعربون عن آراء مختلفة تتصل بتكنولوجيا الجديدة للإتصال.

ولكن هذا المنهج في تحليل تأثير هذه التكنولوجيا يواجه صعوبات عديدة، وتمثل هذه الصعوبات بالدرجة الأولى في أن الباحثين في مجال الإتصال يعملون بشكل منفصل عن المهندسين الذين يدركون خصائص التكنولوجيا الجديدة، وهذا يعني أن المخترعين قلما يتعاونون مع الباحثين حيث تقتضي ضرورة البحث إجراء حوار بين الطرفين ، ولهذا السبب يميل الباحثون إلى إجراء استقصاءات أولية حول التكنولوجيا الجديدة وذلك من أجل الحصول على آراء وأفكار المستهلكين الرواد في هذا المجال. وتسمح هذه الإستقصاءات الأولية بالحصول على معطيات تتعلق بأسعار التكنولوجيا الجديدة وإلى أي مدى يميل المستهلكون إلى دفع نفقات هذه التكنولوجياالخ.

أجريت في ألمانيا الإتحادية دراسة أولية مسبقة حول التكنولوجيا الجديدة وذلك قبل أن يقوم الأفراد باحضارها وتجهيز منازلهم بها. ولقد سمحت هذه الدراسات التي أجريت حول مدى موافقة الناس على استخدام التكنولوجيا الجديدة للباحثين بالوصول إلى نوع من النتائج التي تتعلق بسلوك الناس ازاء هذه التكنولوجيا.

هذا ويلاحظ أن هناك صعوبة أخرى على المستوى ذات طابع منهجي وهي أن الإستقصاءات الأولية التي تجري حول المستهلكين على مبدأ الإحتمال لا تجري على المستهلكين الحقيقيين هذه التكنولوجيا ، وهذا يعني أن هذه الأبحاث الأولية لا تقدم نفعاً كبيراً في هذا المجال. ويضاف إلى ذلك عدم وجود جماعات ضابطة ويمكن لهذه الصعوبة أن تبرز إلى حيز الوجود عندما يبدأ فعلاً ادخال هذه التكنولوجيا في إطار

مؤسسة ما . ولكن يستبعد جدا أن توجد مؤسسة أخرى تحمل نفس الخصائص والمواصفات بوصفها مجموعة ضابطة . وعلى رغم ذلك يلاحظ أن التفاعل الإتصالي الجديد لا يسمح بوجود جماعات ضابطة مشروعة . ولهذا الأسباب مجتمعة فإن الباحثين قلما يلجؤون إلى جماعات ضابطة في دراستهم لوسائل الإتصال الجديدة . ومن الصعوبات الأخرى التي يواجهها البحث في مجال التكنولوجيا الجديدة أن العينات التي تسحب في الإستقصاء قلما تكون حول مستهلكي هذه التكنولوجيا في المراحل اللاحقة . وبالتالي فإن نتائج هذه الأبحاث لا يمكن أن تكون صالحة للتعميم . وغالبا ما يمثل المتطوعون عددا قليلا جدا في كل فئة تكنولوجية جديدة . وهم على الأغلب ينتمون إلى الفئات الاجتماعية المسورة والذين يملكون مسبقا بعض نماذج وسائل الإتصال الجديدة . وهم يميلون إلى حيازة كل نوع من التكنولوجيا المتقدمة . وهم في هذه الحالة لا يمكن لهم تمثيل مستقبل المستهلكين في المراحل المستقبلية ولا يمكن بالتالي لنتائج هذه الأبحاث أن تحظى بدالة العمومية .

وفي نهاية المطاف يلاحظ أن غالبية الأبحاث كما بين المخطط السابق تعتمد على التحليل الكمي وهذا يعني أنها لا تقدم امكانية فهم عميق لطبيعة التغيرات السلوكية الناجمة عن استخدام تكنولوجيا الإتصال الحديثة .

ويستخلص الباحثون بالنتيجة أن ظاهرة الفصل بين التقنيين والمهندسين والباحثين ظاهرة غير مرغوبة عندما يتعلق الأمر بضرورة دراسة تكنولوجيا الإتصال الجديدة . وفي هذا الصدد تبين الدراسات التي أجريت في ألمانيا أهمية التعاون والتنسيق من أجل بناء مقترحات ناجحة تؤدي إلى تطوير تجربة التكنولوجيا الجديدة قبل أن تبدأ مرحلة استخدامها الفعلي .

وسائل الإعلام الجديدة ورجال الإعلام:

لقد أدى ظهور التكنولوجيا الجديدة إلى تغيرات هامة تتعلق بطبيعة رجال الإعلام الذين يقومون بإعداد البرامج والنصوص الإعلامية والذين يستفيدون اليوم إلى حد كبير

من تطور هذه التكنولوجيا . لقد توجب على رجال الإعلام الإستفادة من التكنولوجيا الجديدة وزجها في عملية الإنتاج والتوزيع الإتصالي . وبالمقابل فإن هذه التكنولوجيا قد أدت إلى بعض النتائج الهامة التي تتعلق بدور الإعلامين في إطار المؤسسات الإعلامية.

يلاحظ اليوم وفي إطار المؤسسات الإعلامية وتحت تأثير التكنولوجيا الإتصالية الجديدة ظهور أدوار إعلامية جديدة ومراكز مهنية جديدة ويزتراف ذلك أيضا مع زوال ادوار إعلامية ومراكز إعلامية وظيفية تقليديه.

وإزاء هذه التغيرات الجديدة كانت ردود افعال الإعلامين ازاء هذه التكنولوجيا الجديدة ضعيفة نسبيا وخاصة العاملين في مجال الصحافة حتى عام 1980 . ويعود سبب ذلك وفقا لتقدير ولتون Wolton إلى عدم وجود علاقة مباشرة بين عمل الصحفيين والتكنولوجيا الجديدة حيث يلاحظ أن تقسيم العمل في إطار المؤسسات الإعلامية لم يتغير وبقي على حاله . فالتحرير الإلكتروني يشير عمليا إلى وجود تحسن واضح في العمل الصحفي ومع ذلك فإن ما يحدث لم يكن بالنسبة للصحفيين إلا تغيرا طفيفا في بعض جوانب عملهم وما يحدث لم يكن بالنسبة إليهم غير تغير أو تحسين في آلة الكتابة (ولفسون ، 1980 ص 243) . فالكتابة الإلكترونية أدت إلى تنظيم أو توماتيكي واستطاعت أن تحل مكان الآلة الكاتبة البسيطة.

يشير ت . ر . روجيرز T. R. Rogers و ن . س . فريدمان N.S Freedman في هذا الإتجاه إلى أن عملية التنضيد كانت في الماضي تقتضي وجود جماعة كبيرة من العاملين في الطباعة . وكان على العاملين في هذا المجال الخضوع لدورات تدريبية متجانسة وجميع العاملين في هذا القطاع كانوا يملكون معرفة جيدة في مجال عملهم ومهنتهم . حيث كان يتوجب عليهم العمل في الليل وفي ساعات عمل غير عادية . وكانت علاقات أفراد هذه الجماعات تتميز بدرجة عالية من التماسك والإنسجام إذ ترتب عليهم العمل بشكل مشترك ، وقضاء أوقات فراغهم بشكل مشترك أيضا . فهم يدركون طبيعة عملهم بشكل جيد ويسيطرون عليه ، وقد استطاعوا أن يشكلوا نقابة قوية متماسكة

إلى حد كبير . ولقد أدى دخول التكنولوجيا الجديدة (الكتابة الإلكترونية) إلى وضع نهاية هذه الوضعية الاجتماعية للعاملين في إطار هذه المهنة . وبالنتيجة يمكن القول أن هذه المهنة قد تعرضت للزوال بشكل نهائي فقد بدأ عمال هذه الطباعة يتركون هذه المهنة ، حيث سمح للمعمرين منهم بترك العمل نهائيا ، بينما اندفع الشباب منهم إلى تحسين وتطوير معارفهم في مجال المعلوماتية . لقد أدى هذا التغير إلى تخفيف حدة الرقابة الاجتماعية على شروط عملهم ولكنهم فقدوا في الوقت نفسه حقهم القديم في اختيار أجلافهم . كل ذلك يشير إلى فقدان العاملين في مجال التنضيد الطباعي لهوية مهنتهم القديمة.

لقد تأثرت المطابع التقليدية بشكل مباشر بالتطور التكنولوجي الحديث والذي أدى إلى تغيرات عميقة وجوهرية في بنية الطباعة . وتمثل الثورة التقنية سلاحا ذا حدين قاطعين ، حيث ساعدت هذه التكنولوجيا الجديدة المؤسسات الصحفية الكبرى في رفع مستويات إنتاجها إلى حد كبير هذا من جهة كما سمحت هذه التكنولوجيا أيضا للمؤسسات الإعلامية الصغرى بالاستفادة إلى حد كبير من تطور تقنيات الإنتاج الطباعي الأقل كلفة، والأكثر سرعة والأقل تطلبا لليد العاملة من جهة أخرى . لقد صار من الممكن حاليا القيام بتجهيز وطباعة آلاف الإعدادات الصحفية بالاعتماد على أدوات طباعة خفيفة، وقليلة الكلفة.

وفيما يتعلق بالصحفين فإنهم عرضة لتغير كبير فيما يتعلق بمراكزهم وأدوارهم وذلك بتأثير التكنولوجيا الجديدة . وفي هذا الصدد يميز ولتون Wolton ثلاث اشكاليات اساسية تتعلق بمجال عمل الصحفيين وهي:

1- كانت مسألة تغطية المعلومات العامة تشكل جانبا أساسيا تقليديا في عمل الصحفيين ، ولكن أهمية هذا الجانب بدأت تأخذ مسارا مستقبليا أقل أهمية . لأن تغطية المعلومات كافة يكلف غالبا ، وأن هناك وكالات إعلامية تقوم بهذا العمل على وجه السرعة . وهذا يعني في نهاية المطاف أن عدد العاملين في هذا المجال سيشهد

اتحدارا كبيرا في المستقبل وذلك لأن التقنية الجديدة تكلف غالبا ، وهي بدلا من أن تعمل على زيادة عدد المصادر فإنها تميل إلى تحديدها . ويترتب على ذلك التخفيف من حدة التناقضات الإعلامية التي تدور حول حدث واحد يجري هنا أو هناك .

2- إن استخدام التكنولوجيا الجديدة سيؤدي إلى توظيف عمالة جديدة تقوم بمعالجة وصيانة الأجهزة الجديدة . ويمكن أن نتساءل ما إذا كان الصحفيون هم الذين سيستفيدون من هذا التوظيف الجديد ؟ إن ذلك ليس مؤكدا . ولكن من المؤكد أن الخدمات الجديدة التي تقدمها وكالات الإعلام هي من صلب عمل الصحفيين . ولكن فيما يتعلق بوسائل الاتصال الجديدة وبنوك المعلومات فإن ذلك لا يبدو أكيدا بأنه من اختصاص الصحفيين . ويلاحظ حاليا أن معالجة بعض المعلومات لا تتطلب بالضرورة مركزا صحفيا حيث يكون المستهلك قادرا على معالجة هذه المعلومات . وتطرح هذه المسألة على بساط البحث والدراسة ضرورة تحديد الحدود الدقيقة لعمل الصحفي في المستقبل القريب .

3- يلاحظ أنه وقبل ظهور التكنولوجيا الجديدة ، كان عمل الصحفي يتمثل في التوسط بين المرسل والمستقبل وفيما بعد استخدام هذه التكنولوجيا ، يلاحظ أن المستقبل يستطيع بواسطة " التيليتكس " وبنك المعلومات أن يصطفى بنفسه ما يريد في إطار الركام الإعلامي المتاح .

ويمكن لنا في هذا السياق الإشارة إلى ظاهرة أخرى حديثة نسبيا في فرنسا ولكن هذا لا يعني أنها غير معروفة في بلدان أخرى ، وهي ما يسمى بالتألق الصحفي ، والذي كان نتاجا لندرة الصحفيين الذين يعالجون المعلومات العامة ، وقد أبرزت هذه المسألة على شاشة التلفزيون كتنيجة قابلة للملاحظة والتي تتمثل في الرواتب المدهشة والعالية للصحفيين النجوم . وهذا ما يجعلنا نعتقد أن هذه الظاهرة ستكون محدودة في المستقبل ، في مختلف القطاعات التي تتصل بالمعلومات . وهذا من شأنه أيضا أن يؤدي إلى نتائج اجتماعية في كل المستويات الخاصة بعملية الإنتاج والتوزيع .

وسائل الإتصال الجديدة وحرية التعبير:

بدأت مسألة حرية التعبير ، ومع قدوم وسائل الإتصال الجديدة ، تطرح نفسها من جديد . حيث يلاحظ في هذا المناخ أن وسائل الإعلام الجديدة تقدم تسهيلات جديدة للتعبير والمعلوماتية . ومع ذلك فإن قلق الباحثين المتعلق بتأثير وسائل الإتصال الجديدة على القيم الاجتماعية في حرية التعبير لا يمكن أن ينطلق دون أسس علمية عميقة.

لقد ترافق قدوم وسائل الإعلام الجديدة مع توجهات نحو مركزية شديدة لوسائل الإتصال : كالصحف والراديو والتلفزيون . وهنا يكمن السبب الوجيه الذي يدعو إلى الشك في طبيعة هذا التطور ووصول كل فرد إلى المعلومات . فحرية التعبير مسألة تضرب جذورها عميقا في تاريخ البلدان الديمقراطية وهي الشرط الأولي للمجتمع الحر . لقد شكلت تعددية المصادر الإعلامية سلاحا حقيقيا في متناول الشعوب ضد الدعاية وضد احتكار حقوق الكلمة وضد ارهاب الإيديولوجيا.

ويتوجب علينا في هذا المقام التركيز على أهمية الفصل بين حرية الصحافة وحرية الرأي ، لأنه غالبا ما يجري الخلط بينهما . إنه لقلما تستفيد وسائل الإعلام الإلكترونية كالراديو والتلفزيون من حرية التعبير ، وذلك بسبب الرقابة التي تفرضها الدولة منذ لحظة البث والإرسال . وفي الوقت الحالي ومع تزامن استخدام التقنيات الإلكترونية في مجال الصحافة فإن السؤال الذي يطرح نفسه بقوة هو : هل ستستخدم هذه الأداة الإتصالية الجديدة بوصفها صحيفة أم بوصفها وسيلة إعلام إلكترونية ؟ وبعبارة أخرى هل يمكن أن تستفيد هذه الأداة الجديدة من الحرية المطلقة للصحافة أم أنها ستخضع للرقابة كما هو الحال في الراديو والتلفزيون ؟

إن إحدى النتائج الهامة لظهور التكنولوجيا الجديدة تكمن في الخلط بين مختلف الأنماط الإتصالية . فتحت تأثير التكنولوجيا الجديدة لا يوجد اليوم مهمات خاصة ومحددة لكل وسيلة إعلامية كما كان هو حال وسائل الإعلام في الماضي القريب .

حيث لم تعد الصحف اليوم المصدر المطلق للمعلومات . إن وسائل الإتصال الجديدة تقتضي ضرورة التفكير بطريقة أخرى في مسألة حرية التعبير . والمسألة لا تتوقف عند حدود حرية تصدير المعلومات بل يتعدى ذلك إلى مسألة حرية الإستقبال.

يشير تقرير ميكبريد Mc Bride الخاص بهذه المسألة في مستواها الدولي أن بلدان العالم الثالث قد رفعت احتجاجها مطالبة بإحداث التوازن المعلوماتي بين الشمال والجنوب . وقد أدى ذلك إلى تشكيل لجنة دولية من قبل المدير العام لليونسكو تقوم بدراسة هذه المسألة وكان اعضاء هذه اللجنة يمثلون بعض الشخصيات العالمية المعروفة، وكل منهم كان يمثل بلاده ، وقد رأس هذه اللجنة السيد ميكبريد ، وقدمت هذه اللجنة تقريرها في شباط عام 1980 ، واشتمل ذلك التقرير على موضوعين أساسيين يتمثل أحدهما في أن هناك أربع وكالات غربية عملاقة وعالمية للمعلومات هي أسوشياتدبرس Assouated Press واليونيتد برس United Press الولايات المتحدة ووكالة فرانس برس France Press في (فرنسا) ووكالة رويترز Reuter في (بريطانيا)، وقد اتهمت هذه الوكالات بأنها تركز إهتمامها على البلدان الغنية ، واتهمت أيضا بأنها تعطي صورة تتطابق مع إهتمامات ومضالح البلد الذي تشابع نشاطها فيه هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يبرز التقرير أهمية بناء نظام معلوماتي جديد تكون فيه دورة المعلومات متوازنة ومتكافئة بالإتجاهين . ولقد واجه التقرير جملة من الإعتقادات من الجانبين حيث اعلنت البلدان الجنوبية ضرورة الغاء الحلول التكنولوجية لمسائل الإتصال ، ولكن البلدان الغربية، مع اعترافها بشرعية الإحتجاج المعلن للبلدان النامية ، لكنها اعترضت على الحصار الذي تمارسه البلدان النامية على شعوبها تحت اسم الديمقراطية المزيفة للإتصال ووسائل الإعلام الذي يتم تحت تأثير مكونات هذه البلدان.

فمن الواضح أن البلدان الغربية تبرر حرية الإتصال بعوامل تقنية وبضرورة الحفاظ على الأمن . اما ما يتعلق بديمقراطية التفكير ، فإن ذلك يمكن أن يتحقق في الشارع، وللجمهور الحق في ذلك . وبالتالي فإن الأجهزة السمعية البصرية تتضارب مع

نموذج الصحافة ، حيث لكل الحق في أن يعلن مايشاء ، بشرط أن لايلحق ذلك الأذى بالآخرين . وأخيرا فإن العلاقة بين وسائل الإعلام والدولة تطرح بما يحقق احترام الجمهور وهذا يعني هؤلاء الذين يقرؤون ويستمعون ويشاهدون والذين يتواصلون عبر هذه الأدوات .

وسائل الإعلام الجديدة واللامساواة الثقافية:

لقد مثل ظهور كل أداة إعلامية في حينه خطوة متقدمة نحو تحقيق ديمقراطية الثقافة والمعرفة ، ومع ذلك يلاحظ دائما أن وسائل الإعلام تغني الغني أكثر من الفقير . وذلك هو السؤال الذي يطرح نفسه اليوم فيما يتعلق بوسائل الإتصال الجديدة : فهل يمكن لهذه الوسائل الجديدة أن تكون جسرا نحو ديمقراطية المعرفة أم أنها ستلعب دورا جديدا في تكريس التباين المعرفي ؟

وفي معرض هذا التساؤل تشير المعطيات الأولى إلى أن هذه الوسائل لاتلبي رغبة المتفائلين . وللمسألة جانب اقتصادي يؤكد على ارتفاع اسعار هذه الوسائل . على سبيل المثال لن يتاح لكل فرد أن يحصل على هوائي فضائي (استقبال اشارات الإنجاز الإصطناعية) وبالتالي فإن الإشتراك في خدمات الكوابل الأرضية يكلف مبالغاً لا يستهان بها على مستوى الدخل الفردي اذ يكلف هذا الإشتراك ما لا يقل عن 2000 فرنك ويلاحظ أن سعر جهاز الفيديو يتراوح بين 2500 إلى 7000 فرنك وسعر الشريط يتراوح بين 60 إلى 160 فرنك . ويضاف إلى ذلك أن الإشتراك في الكابل الأرضي غير ممكن في كل مكان وهذا يعني أن مثل هذا الإشتراك غير متاح للجميع . وأن الجميع لا يستطيع الاستفادة من نظام التكنولوجيا الجديدة . ومع ذلك فإن العامل الإقتصادي لا يشكل العقبة الكبرى إزاء ديمقراطية الثقافة .

لقد اعتقد السياسيون ، وذلك منذ زمن طويل ، أن خفض اسعار حضور المشاهد المسرحية يمكن أن يسهم في تعميق ديمقراطية الثقافة . ولقد بينت التجربة فيما بعد أن نشر دور الثقافة وأن خفض اسعار الدخول إلى المسرح والسينما قد أدى إلى عكس

الغاية منها ، بدلا من شد إهتمام الجمهور الشعبي كان ذلك كله لصالح الطبقة المتوسطة.

وغالبا ما يغيب عن البال أن انتشار التجدد يقتضي فترة زمنية جديدة بالإعتبار . ولقد اشار كل من د. دوزيير D.Dozier و د. ريس D.Rice (عام 1984) أنه يجب أن نتظر مئة عام لنرى بعدها أن نصف سكان الولايات المتحدة الامريكية يقرؤون الصحف بشكل منتظم . وعلينا أن نتظر سبعين عاما لكي تبلغ نسبة مستخدمي الهاتف نصف سكان الولايات المتحدة الأمريكية، وعشر سنوات من أجل أن يملك جميع سكان الولايات المتحدة الأمريكية جهاز الراديو ، وعشر سنوات من أجل استخدام التلفزيون العادي.

وفي إطار هذا الدائرة يلاحظ أن استخدام التلفزيون الكابلي يحتاج إلى 30 سنة ليشمل 20 % من السكان في فرنسا وذلك بعد ثلاثين عاما من توظيفه وذلك حسب تقديرات عام 1990 . وتقدر المدة نفسها ل يتم استخدام " الفيديو تكس " وتوظيفه ويشمل 7 % من العائلات الفرنسية . ويقدر الباحثون أن استخدام الفيديو تكس سيكون من نصيب البيض الذين تتراوح اعمارهم بين 25 إلى 45 عاما من جنس الذكور والذين يتمتعون بمستوى تحصيل علمي عال والذين يمارسون مهنة عالية ويحصلون على رواتب جيدة تصل إلى 30000 دولار أي ما يعادل 200 000 فرنك سنويا.

ويلاحظ على المستوى الفرنسي أن التباين الاجتماعي على مستوى التجهيزات هو أقل بكثير فيما يتعلق بالجوانب الأخرى . في عام 1962 بلغت نسبة الذين يملكون جهاز تلفزيون 38 % من مجموع الشريحة الاجتماعية العليا فئة الأطر العليا والمهن الحرة وذلك مقابل 27 % من فئة العمال . وفيما يتعلق بملكية " الفيديو " فإن هذه الملكية ليست حكرا على الفئات الاجتماعية العليا حيث يمثل العمال الذين يملكون هذا الجهاز 20% من مجموع الملاكين في فرنسا.

ومن الملاحظ انه عندما يتم طرح تكنولوجيا جديدة في الحياة الاجتماعية فإن طريقة

استخدام هذه التكنولوجيا ليست واحدة . وفي هذا السياق يلاحظ أن أغلبية مالكي أجهزة الفيديو يستخدمون هذه الأجهزة لقضاء وقت الفراغ وتسجيل الأفلام والبرامج التلفزيونية بينما تستفيد الأقلية من هذه الأجهزة وتوظيفها في عملية التعلم والعمل كتعليم اللغات على سبيل المثال. ولابد لنا في هذا السياق من الإشارة إلى التجربة التي أجريت في بنسلفانيا Pennsylvania والتي تتعلق باستخدام النظام التفاعلي لدارة كابلية مغلقة مخصصة لاستخدامات الأشخاص المسنين . وهو نظام يتيح للمسنين إجراء اتصالات فيما بينهم وبين رجال الإدارة العامة . والفكرة الرئيسية لهذه التجربة تكمن في إعطاء المسنين امكانية الإتصال فيما بينهم والمشاركة في النشاطات المختلفة والحصول بسهولة على الخدمات المتوافرة والتي يحتاجونها على سبيل الإحتمال . وقد قدمت هذه الخدمات الإتصلية بشكل مجاني . وقد بينت هذه التجربة أن المسنين لم يستخدموا هذه التكنولوجيا الإتصلية في مستوى واحد وطريقة واحدة وأن بعضهم لم يستخدم هذه التكنولوجيا على وجه الإطلاق . هذا وتدخل الخبرة التقنية كعامل اساسي وهام في درجة الوصول إلى هذه التكنولوجيا واستخدامها . ومن الجدير بالإشارة أيضا أن معالجة هذه التكنولوجيا واستخدامها يحتاج إلى قدر ما من المعلومات التكنولوجية . (كما بينا ذلك سابقا) . وهذا يعني أن مدى الوصول إلى هذه التكنولوجيا واستخدامها مرهون بعاملين هما حيابة هذه التجهيزات وحيابة المعلومات الضرورية لاستخدامها.

لنفرض من حيث المبدأ أن الصعوبات الخارجية قد أزيلت تماما هل يمكن لزيادة المعلومات أن يؤدي إلى ديمقراطية حقيقية في مجال المعرفة والمعلومات ؟ ومن أجل الإجابة عن هذه المسألة نجد أنفسنا أمام رأيين مختلفين . يتميز الرأي الأول بالتشاؤم لأن اتساع مجال المعلومات يؤدي إلى مزيد من التباين والتنوع ويشكل نوعا من الحواجز الجديدة أمام ديمقراطية التعليم . وعلى خلاف ذلك يميل الرأي الآخر إلى التفاؤل ويستوحي رأيه من فكرة ماكبهان " McPuhan حول المدينة الكونية والتي تتحول إلى مدينة عظيمة يتقاسم الناس فيها القيم التعاونية ويصبحون أكثر حضورا وانفتاحا وذلك

بفضل اتساع مجال وسائل الإعلام التي تضع حدا لوجود الحواجز المعرفية بين الناس.

ويبدو لنا أنه لمن المبكر جدا أن نستقرئ المستقبل . ومع ذلك فإن تاريخ الإنسانية غامر بالأمثلة التي تبين أن الكائنات الإنسانية تحاول دائما وكلما كان الأمر متاحا أو ممكنا أن تستحوز على الأشياء وتستخدمها من أجل مزيد من الإمتيازات والسيطرة . وكل ما يمكن للمرء أن يتمناه هو أن تجري الأمور على حدود ما قد حدث في ماضي الإنسانية.

محتوى وسائل الإعلام الجديدة:

يرتبط تأثير وسائل الإعلام الجديدة إلى حد كبير بنوع المعلومات ومدى التنوع في محتوى المعلومات التي تركزها . ومن المعروف أن تعدد الإتجاهات لا يمكن أن يكون معادلا لتنوع المحتويات . ومن أجل أن يصبح التنوع قائما يصبح من الضروري أن تكون المحتويات غزيرة جدا وليس ذلك هو واقع الحال في المرحلة الراهنة . إن من أسباب عدم الكفاية يكمن في أن وسائل الإعلام الجديدة لا تحتاج اليوم إلى نظام خاص للتشغيل Softwar وذلك على خلاف المراحل الماضية حيث كان المنتجون مجبرين على تزويد كل جهاز جديد بنظام محدد للتشغيل.

إن ما تعنيه اليوم مدينة مزودة بالكوابل هو القدرة على تزويد سكان هذه المدينة بشبكة من الأقتية معدة لتأمين خدمات جديدة ومن بين هذه الخدمات الجديدة وجود برامج محلية تمكن من الوصول إلى معلومات تتعلق بالنشاطات الثقافية والاجتماعية والسياسية والإدارية التي تهتم السكان . وهذه المعلومات تخضع بشكل دائم لعملية تنظيم مستمر لتواكب التغيرات الجارية في مجال النشاطات والمعلومات . ويجب على هذه البرمجيات أن تتيح للسكان نوعا من التفاعل في إطار الحياة الاجتماعية وهي بذلك تمثل عاملا ديناميا فاعلا في حياة السكان.

ويمكن لنا أن نصنف مشاهدي التلفزيون إلى فئتين اساسيتين وذلك وفقا للتصنيف

التقليدي وهما : فئة الذين يشاهدون التلفزيون وفئة الذين يشاهدون البرامج . إن نوع البرامج بالنسبة للمجموعة الأولى لا يعني سوى قليلا من الأهمية إذ يشاهدون جملة البرامج التلفزيونية وهذه الفئة تمثل أغلبية مشاهدي التلفزيون . أما فيما يتعلق بالمجموعة الثانية وهي الأقل اتساعا وتضم الأفراد الذين يشاهدون التلفزيون عندما تكون هناك برامج محددة تثير إهتمامهم . والتلفزيون بالنسبة لهذه الفئة سواء كان التلفزيون الكابلي أو التلفزيون الأثيري يحمل لهذه الفئة نوعاً من التجديد الفكري والمعرفي وذلك لأنه يتيح لهم اختيارات بالغة التعدد .

إن من خصوصيات التلفزيون الكابلي تنوع برامجه وغزارتها . وهذا من شأنه أن يلبي حاجة الأفراد المتنوعة الذين تجمعهم إهتمامات مشتركة . ففي الولايات المتحدة الأمريكية يقوم التلفزيون الكابلي بعرض آخر الأخبار والخصومات السياسية والمحالات العلمية وذلك بشكل مستمر ودائم وعلى طول اليوم بينما يقوم الكابل الأثيري العام بنقل المناقشات البرلمانية بشكل دائم . ومثل هذا التخصص يتيح نوعاً من التوجه على محاور مختلفة مثل : التخصص في النوع (الأفلام أو الأخبار) أو التخصص في الموضوعات الخ .

ومع ذلك فإن هناك خطر لا يجب أن يغيب عن البال وهو "تفجير الجمهور " وذلك يعني أن التلفزيون الكابلي يقوم على خلاف ما هو مطلوب منه إذ يقوم عبر هذه البرامج بعملية تعزيز التمزق في النسيج الاجتماعي بدلا من تعزيز الروابط الاجتماعية بين الناس والأفراد .

هذا ويتيح التلفزيون الكابلي نوعاً من حرية البرمجة حيث تقوم الشركات المحلية بإعادة بث البرامج لجمهور جديد . ومثل ذلك يوجد في مدينة نيس Nice وميتز Metz وكريونيل Grenoble وتكمن خاصة هذه العملية في انفصال البرامج المحلية عن البرامج القومية والخاصة . وتقوم هذه المحطات المحلية بإضافة نوع من التفاصيل على الوثائق بدرجة معتدلة وذلك بالقياس إلى البرامج الغربية وهم بذلك يحاولون التعامل مع جمهور جديد وإعطاء فرصة جديدة لبعض المشاهدين عن طريق إعادة تكرار بث هذه البرامج .

وسائل الإعلام الجديدة والديمقراطية:

إن حرية التعبير والتنظيم القانوني كانت وبشكل دائم مسألة تقع في إطار المناقشات الجارية حول وسائل الإعلام الجديدة وعلاقتها بالسلطة السياسية وهي ليست بالجدل الجديد . لقد شكلت هذه المسألة منذ اختراع الطباعة محورا للجدل الدائر حول العلاقة بين الديمقراطية ووسائل الإعلام. ومنذ ظهور التكنولوجيا الجديدة والحديث عن ثورة الإتصال لا ينقطع. ومن الجدير بالذكر أن هذه الثورة الإتصالية قد شكلت قاعدة لتحولات عميقة في بنية السلطة ومن الأفضل اليوم أن نتحدث عن انقلاب اتصالي. بمعنى الانقلاب السياسي إن فكرة العلاقة العميقة بين السلطة السياسية والمعرفة هي فكرة قديمة كما يلاحظ ايليل " Ellul " ، وهي فكرة قوامها أن المعرفة تعزز السلطة وأن السلطة تمارس عندما تقوم على اسس معرفية وهي فكرة ليست خاطئة كما يرى ايليل . وعلى الرغم من ذلك فإن العلاقة بين السلطة والمعرفة ليست علاقة تطابق. فاكتماب المعرفة يعزز السلطة وأن السلطة تركز على معرفة غير اتصالية معلنة أو معروفة من قبل الجمهور.

ولكن هل يعني أن انتشار المعرفة يؤدي إلى تعزيز الديمقراطية ؟ . وعلى حد تعبير ايليل أن هذه العلاقة معقدة للغاية . والحق يقال أن حيازة المعرفة والمعلومات عن مختلف الأشياء حول العالم بفضل التكنولوجيا الحديثة لايعني ديمقراطية واسعة وكاملة . وذلك لان المعلومات الواسعة التي تقدمها الوسائل التكنولوجية الجديدة ليست كافية بحد ذاتها . وبالتالي فإن تنوع المعرفة لا يوضع حدا للتفاوت المعرفي بل على عكس ذلك كما يرى ايليل فإن التوسع في وسائل الإعلام ظاهرة تعزز اللاديمقراطية.

يعتقد بعض الباحثين أن صعود الظاهرة الفردية كنتاج للتكنولوجيا الجديدة ستؤدي إلى تمزق عميق في النسيج الاجتماعي . ويعتقدون أن التجزؤ المعرفي يشكل تهديدا للنظام الاجتماعي القائم . ويرى بعضهم الآخر أن التكنولوجيا الجديدة أداة دعائية في متناول السلطات السياسية وفي خدمتها. فالتلفزيون الكابلي يسمح للحكومة بمراقبة

السكان بذريعة الحرص على مصالح الناس . وأن اتساع وسائل الإعلام يشير إلى نهاية الحياة الخاصة ونهاية الحريات الفردية وهذا يعني أن هذه الوسائل الإعلامية تتيح لأقلية اجتماعية ما أن تراقب وتهيمن على الأكثرية الاجتماعية . ويرى الآخرون أن المد التكنولوجيا الجديد سيقود بالضرورة إلى درجة عكسها من المركزية الإعلامية وإلى ندرة التنوع المحدودة في إطار المعلومات.

وعلى خلاف ما سبق هناك فكرة تقول أن التكنولوجيا الجديدة ستؤدي إلى ديمقراطية ذات أبعاد متكاملة . ومن أجل أن نأخذ بأطراف هذه التخمينات يجب علينا أن نأخذ بعين الاعتبار أن الكتاب المطبوع لم يكن سوى ملمح من ملامح تطور الكتاب المخطوط . ومع ذلك فإن المطبوع أدى إلى وجود بنى معرفية جديدة كلياً . ومن هذا المنطلق يمكن القول أن التكنولوجيا الجديدة ستؤدي إلى إيجاد أشكال اتصالية جديدة وهذا من شأنه أن يؤدي إلى هدم الأسس القديمة لمركزية المعلومات.

مراجع الفصل العاشر

- 1- Cloutier Jean (1975) "L'ère d'Emerec ou la communication audio-scripto-visuelle à l'heure des self-media", Montreal Les presses de l'université de Montréal.
- 2- Du Castel Francois, Chambat P.Musso P. (1989) "L'ordre communicationnel:les nouvelles théchnologies de la communication:enjeux et strategies. Paris: La Documentaiton francaise
- 3- Flichy Patrik (1980) :Les Industries de l'imaginaire Grenoble.Presses Universitaires de Grenoble.
- 4- Gournay de Chantal. Musso P.. Pineau G.(1985) Télévisions dechainées. La dereglementation en Italie, Grande Bretagne et aux Etats-Unis. Paris: INA, Documentation Francaise
- 5- Lepigeon J.L., Wolton Dominique(1980)"L'information demain De la Presses écrite aux nouveaux medias", Paris,La Documentation.Francaise
- 6- Machlup Fritz (1962) The Production and distribution of.Knowledge in the US, Princeton: Princeton University Press
- 7- Mercier P.-A.,Plassard F.,Scardigli v.(1984) "La Societe digitale,les nouvelles technologies au futur quotidien", Paris.Seuil,
- 8- Missika Gean- Louis et Wolton Dominique(1983) La folle du.Logis,Paris, Gallimard
- 9- Nora Simon et Minic Alain(1978) : " L'Informatisation de la.société, Paris, La Documentation Francaise
- 10 - ,Perriault Jacques (1981) :Memoires de L'Ombre et du Son Paris. Flammarion.